



مجاهد مأمون ديرانية

شاهد الناسُ التسجيلَ المصور الذي نشره الروس قبل يومين، حيث ظهر بشار الأسد مع الرئيس الروسي كالتلميذ بين يدي الأستاذ. لا، بل كالآذن (الفراش) في حضرة المدير! بدا بشار ذليلاً كالأسير الكسير قاعداً بأدب وخنوع يصغي لسيده وهو يلقي عليه محاضرة طويلة، ثم رد بجمل قليلة يبدو أنه طولب بحفظها سلفاً ليبردها أمام آلات التصوير. اللحظة الأخيرة التي سكت فيها بشار الأسد كانت أكثر اللحظات تعبيراً عن المهانة والانكسار، وقد أثارت للملايين أن يشاهدوا رجلاً ضعيفاً مُهاناً يتطلع ريقه كمن فرغ لتوه من تمثيل دور ثقيل.

لو أراد الروس أن يحذفوا تلك اللقطة الختامية من الشريط لفعلوا، ولو أرادوا لوضعوا العلم السوري مع العلم الروسي كما يقضي العُرف الدبلوماسي، ولو أرادوا لقدموا للأسد وليمة تليق برئيس ولم يقدموا له ذلك الطعام الذي يوحي بأنهم أحضروه على عجل من مطعم للوجبات السريعة! يا يجاز: لو أرادوا أن يحفظوا لسفاح الشام بعضًا من ماء الوجه لفعلوا، ولكن من الواضح أنهم قصدوا أن لا يفعلوا، من الواضح أنهم تعمدوا أن يُظهروه على الإعلام بذلك المظهر الهزيل الذليل.

يبدو أن بشار الأسد "تم استدعاؤه" إلى روسيا ليسمع كلاماً قاسياً، وهو كلام كان يمكن أن يسمعه بالهاتف (أو ببعض البرامج المجانية الشائعة لو أرادوا التوفير) فلماذا استدعوه ليُمثل بين أيديهم؟ ليُذلّوه بنشر صور ذلك الاستقبال المُهين؟ ليقطعوا عنده آخر ذرة من أمل بالبقاء في الحكم؛ أم أنها رسالة للطائفة: "عائلة الأسد انتهى دورها في تاريخ سوريا، ابحثوا عن البديل"؟

ربما باتت أيام الأسد في سوريا معدودة، قد لا تزيد عن عدة أشهر، وقد صار السؤال الآن: هل سيكون له دور في المرحلة الانتقالية التي يسعى المجتمع الدولي لفرضها على سوريا؟ هل سيخرج من المشهد قبل بداية تلك المرحلة أم أنه سيخرج عند نهايتها؟ وكيف؟ وإلى أين؟ ومن الذي سيبلغه بانتهاء دوره ومن سيضع ترتيبات الخروج؟

هذه الأسئلة تشغل بال كثرين، ولست منهم، فإن ما يشغلني هو: هل سيقبل الشعب السوري بأي حل سياسي ينبع عنه سقوط الأسد وبعض كبار رموز الحكم الحالي، مع بقاء المؤسسة الأمنية واستمرار سيطرة الطائفة العلوية على مفاصل الحكم في سوريا؟ لو سألنا السؤال بصيغة أخرى: هل يسرنا أن يخرج بشار الأسد من المشهد على الطريقة الروسية أو على الطريقة الدولية؟

قد يقول قائل: أخبرنا أولاً: ما هي تلك الطريقة؟ الجواب عندهم، سمعناه على ألسنتهم يوم قالوا: لن نأمن على مصالحنا في سوريا إلا إذا بقىت المؤسستان الأمنية والعسكرية تحت سيطرة الطائفة العلوية. الروس قالوا ذلك صراحةً في عدة مناسبات وفي تصريحات علنية على الإعلام، أما الأوربيون والأمريكيون فقالوها في الغرف المغلقة، وهي عندهم من الخطوط الحمراء.

منذ وقت طويـل (بتاريخ 18/12/2013) نشرت وكالة رويتـز أن الدول الغربية نقلت للمعارضة السورية رسالة تفيد بأن الأقلية العلوية ستبقى طرفاً أساسياً في أي حكومة انتقالية، ونقلت عن مصدر في المعارضة السورية على صلة بالمسؤولين الأمريكيين أن أمريكا وروسيا تعاملان على تأسيـس وضع انتـقالي يستمر فيه العـلوـيون بدورـهمـ المـهيـمنـ فيـ الجـيشـ وأـجهـزةـ الأمـنـ، وقالـ حتىـ لوـ تـرأـسـ سـنـيـ سـلـطـةـ اـنتـقـالـيـ فـلـنـ يـكـوـنـ لـهـ سـلـطـةـ، فلاـ واـشـنـطـنـ ولاـ موـسـكـوـ تـرـغـبـانـ فيـ إـنـهـ هـيـمـنـةـ العـلوـيـنـ عـلـىـ الجـيشـ وأـجـهـزـةـ الأمـنـ.

هـاـ مـرـبـطـ الفـرسـ كـمـاـ يـقـولـونـ، بلـ مـرـبـطـ أـلـفـ فـرـسـ وـأـلـفـ نـاقـةـ وـأـلـفـ بـعـيرـ: ماـ هوـ مـسـتـقـبـلـ أـجـهـزـةـ الأمـنـ وـالـمـخـابـراتـ فيـ حـالـةـ رـحـيلـ الأـسـدـ؟ـ مرـةـ أـخـرىـ نـجـدـ الجـوابـ عـنـدـهـمـ، فـإـنـهـ يـكـرـرـونـ بلاـ انـقـطـاعـ: يـجـبـ حلـ المشـكـلةـ السـوـرـيـةـ عـلـىـ أـسـاسـ إـلـاـ جـنـيفـ.ـ مـنـ الـذـينـ يـكـرـرـونـ؟ـ الجـمـيعـ، عـرـبـاـ وـعـجـماـ، شـرـقاـ وـغـربـاـ، روـسـاـ وـأـمـرـيـكـيـنـ وـأـورـبـيـنـ.ـ وـمـاـ هوـ مـقـضـىـ ذـلـكـ الإـلـاعـنـ؟ـ هـذـاـ هوـ الجـوابـ مـنـقـوـلاـ مـنـ إـلـاعـنـ جـنـيفـ الـأـلـوـيـ الصـادـرـ فـيـ الثـلـاثـيـنـ مـنـ حـزـيرـانـ عـامـ 2012ـ:ـ "ـالـمـحـافـظـةـ عـلـىـ الـمـؤـسـسـاتـ الـحـكـومـيـةـ وـالـخـدـمـاتـ الـعـامـةـ، وـيـشـمـلـ ذـلـكـ قـوـاتـ الجـيشـ وـدـوـائـرـ الـأـمـنـ".ـ

نـكـرـ السـؤـالـ:ـ هـلـ يـسـرـنـاـ أـنـ يـخـرـجـ بـشـارـ الـأـسـدـ مـنـ الـمـشـهـدـ عـلـىـ الـطـرـيـقـةـ الـرـوـسـيـةـ أوـ عـلـىـ الـطـرـيـقـةـ الـدـوـلـيـةـ؟ـ أـمـاـ فـوـالـلـهـ إـنـهـ لاـ يـسـرـنـيـ،ـ بـلـ لـعـلـهـ مـنـ أـخـوـفـ مـاـ أـخـافـهـ عـلـىـ الثـوـرـةـ السـوـرـيـةـ الـمـبـارـكـةـ،ـ فـإـنـيـ لـأـرـىـ أـخـطـرـ عـلـيـهـ مـنـ عـزـلـ الـأـسـدـ قـبـلـ سـقـوـطـ النـظـامـ الـطـائـفـيـ الـعـسـكـرـيـ الـأـمـنـيـ بـالـكـامـلـ،ـ لـأـنـ الثـوـرـةـ سـتـواجهـ عـنـدـهـاـ فـتـنـةـ كـبـيرـةـ،ـ وـقـدـ يـنـقـسـمـ جـمـهـورـهـ الـمـنـهـكـ إـلـىـ فـرـيقـيـنـ:ـ فـرـيقـ يـنـادـيـ بـوقـفـ الـقـتـالـ وـإـنـهـاـ الثـوـرـةـ لـأـنـهـاـ حـقـقـتـ هـدـفـهـاـ،ـ وـفـرـيقـ آخـرـ يـنـادـيـ بـالـاستـمـارـ لـأـنـ الـأـسـدـ لـيـسـ سـوـيـ جـزـءـ صـغـيرـ شـرـيرـ مـنـ كـلـ كـبـيرـ شـرـيرـ،ـ وـلـأـنـ الثـوـرـةـ لـنـ تـحـقـقـ نـصـرـهـاـ الـحـقـيقـيـ إـلـاـ بـسـقـوـطـ النـظـامـ كـامـلـاـ،ـ وـبـالـذـاتـ:ـ بـإـسـقـاطـ وـتـفـكـيـكـ الـأـجـهـزـةـ الـأـمـنـيـةـ وـاقـتـلـاعـهـاـ مـنـ الـجـذـورـ.

وـهـلـ كـانـ بـلـاءـ سـوـرـيـاـ إـلـاـ مـنـ هـذـهـ الـأـجـهـزـةـ؟ـ هـلـ سـيـطـرـ الـأـسـدـ الـأـبـ ثـمـ الـأـسـدـ الـوـلـدـ (ـلـعـنـ اللـهـ الـوـالـدـ وـمـاـ وـلـدـ)ـ عـلـىـ أـهـلـ سـوـرـيـاـ إـلـاـ بـهـذـهـ الـأـجـهـزـةـ؟ـ هـلـ عـانـيـ السـوـرـيـونـ الـوـيـلـاتـ وـالـمـصـائـبـ إـلـاـ بـسـبـبـ هـذـهـ الـأـجـهـزـةـ؟ـ هـلـ بـقـيـتـ جـرـيمـةـ فـيـ الدـنـيـاـ لـمـ تـرـتكـبـهـاـ هـذـهـ.

الأجهزة؟ هل يأمن أهل سوريا على أنفسهم إذا بقيت هذه الأجهزة ورحل الأسد؟
مُحال؛ لا أمانَ ولا حرَّةَ ولا كرامةَ ولا حاضرَ ولا مستقبلَ لنا ولأولادنا في سوريا إذا بقيت الأجهزة الأمنية. فقولوا بملء الفم:
خذوا الأسد وأجهزته معه كاملة، أو اتركوْنا نكمل ثورتنا حتى نُسقط النظام من الرأس إلى الأقدام وننظف سوريا من أجهزة
القمع والفتک والإجرام.

الزلزال السوري

المصادر: